الفصل الثاني

حقوق الأنبياء والرسل

- قال جل وعلا: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

- قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

- قال الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود: «وبعد الإقرار لله بالوحدانية لابد من الإقرار برسالة محمد ﷺ، وما بعث الله محمداً وأرسل الرسل ولا جاهد المجاهدون إلا لتوحيد الله تعالى، أما العبادة التي لغير الله فأصحابها كما وصفهم الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً﴾».

- يقول الكونت هنري دي كاستري Cte. H. de Castries: «والآن نلخص لك مذهب نبي المسلمين في الديانات الثلاث، فنقول: إن دين الأنبياء كان كله واحد فهم متحدون في المذهب منذ آدم إلى محمد، وقد نزلت ثلاثة كتب سماوية هي الزبور والتوراة والقرآن، والقرآن بالنسبة إلى التوراة كالتوراة بالنسبة إلى الزبور. وإن محمداً بالنظر إلى عيسى كعيسى بالنسبة إلى موسى، ولكن الأمر الذي تهم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي للناس، وصاحبه خاتم الرسل، فلا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ».

حقوق الأنبياء والرسل

الحقوق العامة للرسل ونبوءتهم

تحدثنا ضمن جملة القواعد العامة لحقوق الإنسان في الإسلام في الفصل الرابع من الباب الأول بهذه الموسوعة عن حقوق الأنبياء والرسل، لأن الأنبياء أناس من البشر خلقهم الله وأصطفاهم لأداء رسالة السماء وتبليغ الوحي عقيدة وشريعة إلى الناس، وإننا نلحظ أن الحديث عن حقوق الأنبياء والرسل لم يحظ بنصيبه ضمن مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فهذا الأمر مهم جداً لأنه يعضد تفعيل مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ليعلم كل شخص أن احترام الأنبياء والرسل ومعرفة حقوقهم فيه احترام لمبادئ الحريات الأساسية للإنسان التي تنص عليها المواثيق والصكوك الدولية ، مما يساعد على اختفاء ومناهضة غلواء التمييز الديني بين البشر، فإذا كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نص في بعض مواده على حرية الدين وهذا يعني الاعتراف للإنسان بدينه وحرية اختياره له، فيجب على الآخر احترام ذلك لا محاربته والإساءة إليه وإلى دينه ، وسوف نبين في هذا الفصل ما هي نظرة الإسلام إلى الآخر وما هي نظرة الآخر إلى الإسلام، فنظرة الإسلام إلى الآخر إيجابية، ونظرة الآخر إلى الإسلام سلبية، وليس هناك حاجة إلى براهين أكثر مما شنته قوى الشر والعدوان على المسلمين ودين الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م ، إذ بعد وقوع الحدث بعشرين دقيقة أعلنت كثير من وسائل الإعلام والاتصال أن مسؤولية ذلك تقع على المسلمين، وأنهم الفاعلين لذلك، أين الموضوعية العلمية؟ أين العدل وحقوق الإنسان؟ أين وأين ؟ وإن هم علموا أن الذي قام بتفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك هو من المسلمين خلال دقائق معدودة فلماذا لم يعرفوا حتى الآن قاتلي رؤساءهم وكبراءهم ومرتكبي الجرائم الكبرى من القتل والتفجير وتهريب المخدرات وغسيل الأموال؟

أليس التسرع في الحكم على المسلمين يعني مصادرة لحرية الإنسان المسلم في اعتناق دين الإسلام وإلصاق تهم الإرهاب بالإسلام، من خلال الإساءة إلى المسلم وإلى دينه، إنهم يقولون منكراً من القول وزوراً. إن القوم لو عرفوا حقوق الأنبياء والرسل وما بعثهم الله به، ولم يفرقوا بين أنبياءه ورسله وصدقوا بالحق وعملوا به لما أساؤوا إلى الناس ومن يتبعونهم من الرسل، فلننظر إلى حقوق الأنبياء والرسل وحرية الدين في الإسلام وبيان أهمية تضمين هذه الحقوق لمواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي سقط التنويه والإشارة إليها لسبب أو لآخر ضمن مواد الإعلان، ولعل من أهم الأسباب التي دعت إلى عدم تضمين الإعلان حقوق الأنبياء والرسل هو عدم مشاركة كثير من الدول الإسلامية في إعداد وصياغة مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما انبثق عنه من صكوك، وقد حان الوقت لمراجعة مواد الإعلان وتحديثها والعمل على تفعيلها من خلال مفهوم التنوع الحضاري والثقافي ومراعاة خصوصيات الشعوب والأمم بعيداً عن أحادية الفكرة والتطبيق، إذ أن تفعيل الحريات يعني قبول التنوع ومنها التعددية الدينية كما قال تعالى : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾[1].

ويمكن إجابة من يسأل سؤالاً عن علاقة حقوق الأنبياء والرسل بموضوع حقوق الإنسان بنفس الأقوال التي أوردناها عن علاقة موضوع حقوق الله بموضوع حقوق الإنسان ، فالردة هي كفر بالله وجحود وتكذيب بنبوة محمد بن عبدالله ﷺ . وكذا بالنسبة لزواج المرأة المسلمة بغير المسلم فتكذيب غير المسلم للرسول محمد عليه الصلاة والسلام أمراً اشرأبت به نفسه فلا يُؤْمَن غير المسلم على المسلمة أن يتزوجها على العكس مما في دين الإسلام من الوصية بغير المسلمين ومثالاً لذلك ما يكيله بعض الظالمين من المفكرين والمستشرقين من سباب وشتائم للرسول ﷺ في كتاباتهم شأنهم شأن ما فعل مشركي العرب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **« ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ، يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا**

محمد» [٢]، كل هذا يجعلنا نؤكد على أهمية بيان حقوق الأنبياء والرسل ومالهم من حقوق تحفظ حتى بعد موتهم ، وقد يظن البعض أن حقوق الرسل من مسائل العقائد والإيمان التي تدخل في إطار خصوصية حقوق الإنسان والتي قد تناسب أمة بعينها ولا تناسب أخرى، لعل هذا صحيح في حق نبي أو رسول بعث إلى أمته أو بشريعة نسخت، وهذا مما لا يسوغ في رسالة النبي محمد ﷺ الذي أرسل كافة للعالمين بشيراً ونذيراً، فالحق واجب إظهاره ولو لم يفهم الجانب الحقوقي عند من يريد تجاهله فيظهر الجانب الدعوي والإيماني مما قاله الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٣]، وقوله ﷺ : «**بعثت إلى الأحمر والأسود، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[٤]، فهذا الأمر ليس من الخصوصيات الدينية في حكم الله وفي حق النبي محمد ﷺ مما لا يصح إخفاؤه مع أنه لم يؤمن به كثيرون في زمنه ﷺ فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر .

إن الحاجة إلى قادة روحيين في المجتمع أهم بكثير من القادة السياسيين والاقتصاديين والتربويين .. إلخ ، ولهذا يرى رافي بترا الباحث والمفكر الأمريكي المعاصر أنه ومع انحدار أخلاق الأمم ومع مجيء الألفية الثالثة فالناس بحاجة إلى قادة روحيين يقودون العالم بفضل حياتهم النموذجية الفاضلة ، وهنا يتذكر حياة الرسل والأنبياء ، وأن القادة الروحيين الجدد سيعملون كما عمل الأنبياء عندما يعلنون عن المشاعر البائسة: العنصرية وروح الطائفية والقومية وأنها عدوة الإنسانية ومضيعة للحقوق[٥].

يؤمن المسلم بأن الله تعالى قد اصطفى من الناس رسلاً وأوحى إليهم بشرعه وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجة الناس عليه يوم القيامة، وأرسلهم بالبينات وأيدهم بالمعجزات، بدءً بآدم عليه السلام وختمهم بمحمد ﷺ، والأنبياء والرسل هم من بني الإنسان يجري عليهم الكثير من الأعراض البشرية فيأكلون ويشربون، ويمرضون ويصحون، وينسون ويذكرون، ويموتون ويحيون ويبعثون، ولكنهم أكمل خلق الله تعالى على الإطلاق، وأفضلهم بلا استثناء، بما اصطفاه بهم من

الخلق والإيمان وبما اصطفاهم لأداء رسالته جل وعلا، ولايتم إيمان الإنسان بعد الإيمان بالله وحده ومعرفة حقوقه إلا بالإيمان بهم جميعاً جملة وتفصيلا ومعرفة حقوقهم، فالأنبياء والرسل أناس لهم مشاعر وعواطف وأحاسيس ولهم حقوق يجب رعايتها، أولها الإيمان بهم وتصديقهم وعدم الإساءة إليهم وتكذيبهم حتى بعد مماتهم، وعن الأنبياء والرسل يخبر سبحانه وتعالى عنهم وعن بعثتهم ورسالاتهم بقوله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[٦]، و قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٧]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٨].

لقد أخبر الرسول محمد ﷺ عن نفسه وعن إخوانه من الأنبياء والمرسلين في كثير من الآثار ومنها قوله ﷺ : **«مابعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب»**[٩] أي المسيح الدجال، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: **«لاتفاضلوا بين الأنبياء»**[١٠]، وفي قوله ﷺ لما سأله أبو ذر عن عدد الأنبياء والمرسلين منهم فقال : **« مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير »**[١١]، وفي قوله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن اتبعني»**[١٢]. وفي قوله ﷺ: « **ذاك إبراهيم لما قيل له يا خير البرية تواضعاً منه** ﷺ». وفي قوله عليه الصلاة والسلام: **«ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متّى»**[١٣]، وفي إخباره ﷺ عنهم ليلة الإسراء إذ جُمِعُوا له هناك ببيت المقدس وصلى بهم إماما، كما أنه وجد في السموات يحيى وعيسى ويوسف وإدريس وهارون، وموسى

وإبراهيم، وأخبر عنهم وعما شاهده من حالهم، وفي قوله ﷺ : **«وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»**[١٤]. وهنا نتحدث عن وظائف الرسل ومهماتهم التي تنطوي على كثير من الحقوق، وسوف نقتبس ونوجز ما جاء في كتاب (السعادة الأبدية في الشريعة الإسلامية) للمفكر والأديب الإسلامي العالم السيد أحمد الهاشمي ـ يرحمه الله ـ :

إن حقوق الأنبياء والرسل يشهد عليها الملايين من البشر من المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب من يهود ونصارى المؤمنين برسل الله وتصديقهم الجازم برسالاتهم واعتقادهم كمالهم واصطفاء الله لهم. ذلك لأن ألوهية المولى جل وعلا وربوبيته، ورحمته تعالى تقضي إرسال رسل منه إلى خلقه ليعرفوهم بربهم، ويرشدونهم إلي مافيه كمالهم الإنساني، وسعادتهم في الحياتين الدنيا والآخرة بإثبات حقيقة خلق الخلق لعبادته. فهذا يقتضي اصطفاء الرسل وإرسالهم ليعلموا العباد كيف يعبدونه تعالى ويطيعونه، إذ تلك هي المهمة التي خلقهم من أجلها لئلا يقول الناس يوم القيامة : إنا يا ربنا لم نعرف وجه طاعتك حتى نطيعك، ولم نعرف وجه معصيتك حتى نتجنبها، ولا ظلم اليوم عندك فلا تعذبنا، فتكون لهم الحجة على الله تعالى. فكانت هذه حالةً اقتضت بعثة الرسل لقطع الحجة على الخلق، قال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[١٥]، وكما أن الله سبحانه وتعالى جعل له ولأنبيائه حقوقاً وأمر العباد بأداءها، يسر لعباده وجوه أداء تلك الحقوق عندما أرسل الأنبياء والرسل ليفهموا عنهم وليبينوا لهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[١٦]، ولكي تقوم الحجة على الإنسان الذي يطالب بحقوقه ويغفل حقوق ربه ورسله جعل الله سبحانه وتعالى إرسال الرسل لتبليغ أحكام الله أساساً لأداء الحقوق والمطالبة بها.

أن معرفة حقوق الله سبحانه وتعالى تنطلق من عدله وحكمته وسلطانه ومطلق

تصرفه في ملكه، وأنه جل شأنه لم يخلق الناس عبثاً ولم يتركهم هملاً،وأن حياة الإنسان ليست هي حياة الدنيا فقط وأنها ليست حياة لهو ومتعة، فالله جل جلاله يقول : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[١٧]. والبشر متفقون على أن لنفس الإنسان أو روحه بقاء أو حياة تحيا بها بعد مفارقة الجسد، وأن لها حياة أخرى بعد الحياة تتمتع فيها بنعيم أو جحيم، وأن سعادة الإنسان أو شقاؤه معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية، واتفاق الناس على ذلك إنما هو من الإلهامات التي أدركها الإنسان بعقله وفكره وعرف أن هذا العمر القصير في الدنيا ليس منتهى ما للإنسان في الوجود.

وهذه الإلهامات جاءت من معرفة أن الله سبحانه وتعالى قدر الاستعداد بقدر الحاجة في البقاء، ولم يعهد في تصرفه العبث والكيل الجزاف، ولا يكفي فيه استعمال عقولنا في الاستقامة على المنهج الأقوم، بل كان من لزوم الحاجة التعليم والإرشاد والهداية وتقويم الأنظار وتعديل الأفكار وإصلاح الوجدان وتثقيف الأذهان وبيان الحق للإنسان. فكان من حكمة الملك الإله الحق المبين الذي أقام أمر الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم والهداية (فهو الذي خلق الإنسان وعلمه البيان علمه الكلام للتفاهم والكتابة للتراسل والتخاطب)، أن جعل جل شأنه من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يُعدها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه من الأنبياء والرسل وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطرة السليمة ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه والأمانة على مكنون سره ليعلموا الناس، فهو عالم الشهادة والغيب، وتعريف الإنسان بحقوقه وواجباته هو من وظيفة الرسل لهداية الناس وإرشادهم إلى الحق والخير والعدل والفضل مما أوحى به الله إليهم، مؤكدين عقيدة الإله الواحد الأحد الفرد الصمد، ويجمعون كلمة الخلق على إله واحد لا فرقة معه، يخلون السبيل بينهم وبينه وحده، وينهضون نفوسهم إلى التعلق به في جميع الأعمال والمعاملات ويذكرونهم بعظمته

بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الأوقات، تذكرة لمن ينسى وتزكية مستمرة لمن يخشى، تقوّى من ضعف منهم وتزيد المستيقن يقيناً، فتلك هي النهضة الروحية والدعوة الربانية وغذاء النفس والروح مما قال به العقلاء من غير المسلمين [١٨].

فمهمة الرسل أنهم يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم وتنازعته مصالحهم ولذاتهم، فيفصلون في تلك المخاصمات بأمر الله الصادع، ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة ولا تفوت به المنافع الخاصة، يعودون بالناس إلى الألفة ويكشفون لهم سر المحبة، ويلفتونهم إلى أن فيها انتظام شمل الجماعة ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطؤوها قلوبهم ويشعروها أفئدتهم، يعلمونهم لذلك أن يرعى كل إنسان حق الآخر، وأن لا يغفل عن حقه، وأن لا يتجاوز في الطلب حده وحقه، وأن يعين قويهم ضعيفهم ويمد غنيهم فقيرهم ويهدي راشدهم ضالهم ويعلم عالمهم جاهلهم. يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة وحقوقاً خاصة، يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية إلا بحق، مع بيان الحق الذي تهدر له، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق، مع بيان الحق الذي يبيح تناوله، واحترام الأعراض مع بيان ما يباح وما يحرم من الإبضاع، ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوّموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والأمانة والوفاء بالعقود والمحافظة على العهود والرحمة بالضعفاء والإقدام على نصيحة الأقوياء والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء، يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ إلى طلب الرغائب السامية، آخذين في ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والإنذار والتبشير حسبما أمرهم الله جل شأنه. يفصلون في جميع ذلك للناس ما يؤهلهم رضاءً عنهم ما يعرضهم لسخطه عليهم، ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى لمن وقف عند حدوده وأخذ بأوامره وتجنب الوقع في محاظيره، يعلمونهم من أنبأ الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به مما لو صعب على العقل إدراكه يشق عليه الاعتراف بوجوده.

ليس من وظائف الرسل ما هو من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات، فليس مما جاؤوا له تعليم التاريخ ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ولا بيان ما اختلف من حركاتها، ولا ما استكن من طبقات الأرض ولا مقادير الطول فيها والعرض، ولا ما تحتاج إليه النباتات في نموها ولا ما تفتقر إليه الحيوانات في بقاء أشخاصها وأنواعها وغير ذلك ما وضعت له العلوم وتسابقت في الوصول إلى دقائقه الفهوم وإن كان ذلك مما قالوا به وأوضحوه للناس، إلا أن ذلك كله من وسائل الكسب، وتحصيل طرق الراحة هدى الله إليه البشر بما أودع فيهم من الإدراك ليزيد في سعادة المحصلين ويقضي فيه بالنكد على المقصرين، ولكن كانت سنة الله في ذلك أن يتبع طريقة التدرج في الكمال وقد جاءت شرائع الأنبياء بما يحمل على الإجمال بالسعي فيه وما يكفل التزامه بالوصول إلى ما أعد الله له الفكر الإنسانية من مراتب الارتقاء للتدبر في وحدانيته وربوبيته وملكوته.

والرسل هم أصدق الصادقين ودليل صدقهم هو مطابقة خبرهم للواقع، فهم صادقون في كل ما يبلغونه عن الله تعالى سواء كان قولاً أو فعلاً، لأنهم لو كذبوا فيما يقولونه لكانوا مضلين لا مرشدين وحينئذ تبطل حكمة إرسالهم لأنهم لم يرسلوا إلا للإرشاد والتعليم بالحق والصدق وإلا لم يكونوا رسلاً، ومن يكذبهم ضال كافر بالله ورسله منكر لحقوقهم وله عذاب شديد، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[١٩].

كما أن الرسل هم أهل الأمانة وأمناء الله على الوحي ورسالة السماء وأمانة الرسل هي عصمتهم ظاهراً وباطناً من الوقوع في محرم أو مكروه أو خلاف الأولى، فلو لم يكونوا أمناء لكانوا خائنين في شرائع الله تعالى، فحينئذ لابد أن يمتنعوا عما أمروا به ويفعلوا ما نهوا عنه وهذا محال في حقهم لأنه فاحشة والله لا يأمر بالفحشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[٢٠]، ورسل الله عليهم الصلاة

والسلام يتصفون بصفات الفطانة وهي كمال الذكاء لإلزام الخصوم في المحاجة وإبطال دعاويهم الباطلة. فلو لم يكونوا فطناء بأن كانوا مغفلين لما أمكنهم إقامة الحجة على أخصامهم والمجادلة معهم لإقناعهم بالحق وهذا يخالف مهمتهم التي أرسلوا بها وهي هداية الخلق إلى الحق فوجب بذلك لهم الفطانة واستحال عليهم ضدها وهو الغفلة.

ومن أهم وظائف الرسل وواجباتهم عليهم الصلاة والسلام التبليغ، وهو تعليم الناس شرائع الله تعالى ليرشدوهم إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فلو لم يبلغوا الناس الشرائع لكانوا كاتمين لها، وهذا محال لأنه يلزم على الكتمان خلل عظيم حيث إن كل من قصر في الشريعة يكون شيئاً من ذلك، وقد نفى ذلك المولى بقوله تعالى : ﴿رُسُلاً مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٢١]، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[٢٢]، وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً﴾[٢٣]. ويستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام أربع صفات أضداد ذلك وهي: الكذب والخيانة والكتمان والبلادة، ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما يجوز في حقنا من الأعراض التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العليا فهم أناس لهم حقوق يجب أن تحترم وعليهم واجبات يتوجب عليهم أداؤها وأننا نشهد أنهم أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة وجاهدوا في الله حق جهاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ونحن عندما نتحدث عن الأديان السماوية وما بعث الله به الرسل والأنبياء، نوضح أن من أسس وأركان الإيمان في الإسلام أن يؤمن المسلم بأنبياء الله ورسله جميعاً والاعتراف بحقوقهم الدعوية والإنسانية كما جاء في قوله سبحانه وتعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ

مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[٢٤]، وقال النبي محمد ﷺ : **« أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»**[٢٥]، أي أن دعوة الرسل جميعاً هي توحيد الله بالألوهية وإفراده بالعبادة وهو حق الله على عباده وواجب الرسل إبلاغه للناس وواجب الناس قبوله وأداء حقوق الله ورسله. فنحن المسلمين مثلاً نؤمن بعيسى بن مريم نبي الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. ونحن عندما نتحدث عن النصرانية أو النصارى، فإننا لانتهجم عليهم، كيف وهي دين سماوي مقدس، ونؤمن بها كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لا على ماهي عليه من تحريف وتبديل ، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[٢٦]، وفي هذا حفظ لحق هذا النبي عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين بأنهم بشر يبلغون رسالات ربهم وليسوا آلهة أو جزء من الآلهة، وواجب على الإنسان الإيمان ببشريتهم وأنهم من الخلق والناس والبشر وحفظاً لحقهم بألا يجعلوا لله شركاء وهو الواحد الأحد .

كما نؤمن بما أنزل على عيسى، ولانؤمن بما حرفته أيدي الأحبار والرهبان، وجعلت الإنجيل أربعة كتب، وجعلت النصارى الإله ثلاثة: الأب، والابن، والروح القدس، فاشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً. فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **« من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ماكان من العمل».** وفي رواية: **«من أي أبواب الجنة الثمانية شاء »**[٢٧]، كما أننا نؤمن يقيناً أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بمجادلة أهل الكتاب وغيرهم بالحسنى في أكثر من موطن من القرآن الكريم.

مع هذا الإيمان واليقين بأنبياء الله جل جلاله ورسله والاحترام البالغ لهم من المسلمين خصوصاً الاحترام الشديد لموسى وعيسى أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وحفظ حقوقهم التي أمر الله بها فإنه يلاحظ أن الهجمات التي تُشَنَّ ضد النبي محمد ﷺ والقرآن وضد الإسلام بصفة عامة من قبل بعض المسيحيين واليهود وغيرهم من المثقفين (الذين يكون بعضهم من المنتسبين إلى الإسلام وهم ملاحدة ضلال أمثال سلمان رشدي وتسنيمه نسيم وغيرهم آخرون) في كتاباتهم وأحاديثهم والغارات مستمرة حتى اليوم ضد الإسلام، وهي مصدر إيذاء كبير للمسلمين. وهذه الهجمات تخلو من المناقشة العلمية، وتتسم بالانفعال والإساءة بقصد النيل من الإسلام وتحقيره، وهي هجمات مليئة بالسباب والشتائم ، تقوم على الأكاذيب والافتراءات المغلفة بدعوى العلمية والموضوعية[٢٨]. فلم يحفظ حق هذا النبي ولم يحفظ حق المسلمين، مع أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ينص في مادته الثامنة عشرة على حرية اختيار الدين والاعتقاد، فلماذا يَحْرِمْ على المسلم أن يكون حراً في اختيار دين الإسلام الذي لا يكره أحداً على إعتناقه إذ لا إكراه في الدين؟.

أما نحن المسلمون فلا نفعل ذلك في حق أنبياء الله الآخرين خصوصاً أنبياء الديانة المسيحية واليهودية السائدتين من الأديان السماوية في وقتنا الحاضر، لأننا نقدر مريم وعيسى المسيح (عليهما جميعاً سلام الله وصلواته) تقديراً عالياً، وهذا جزء من عقيدتنا بل إن التلفظ بأية كلمة تدل على أقل قدر من عدم الاحترام نحوهما أو نحو أي نبي من الأنبياء تعتبر كفر في ديننا، وتعرضنا للخروج من دين الإسلام، وربما لانستطيع أن نأتي بمثال واحد يُزْعَمْ فيه أن مسلماً ادعى أقل قدر يمكن تخيله من عدم الاحترام للنبي عيسى وأمه البتول (عليهما السلام)، إننا بالطبع لانؤمن بألوهية المسيح عيسى، ولكن إيماننا بنبؤته لايقل ثبوتاً عن إيماننا بنبوة محمد (عليهما جميعاً الصلاة والسلام)، وأن أحداً لايمكن ـ بالتأكيد ـ أن يكون مسلماً مالم يؤمن ويقر بنفس التصديق، والإيمان بالمسيح عيسى ابن مريم مع التصديق

بالنبي محمد (عليهما جميعاً الصلاة والسلام) لأن ذلك أحد أركان الإيمان الستة ومنها الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[٢٩]، وقال تعالى :﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[٣٠]، وقال النبي ﷺ: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية أمرأة فرعون»**[٣١]. وقال ﷺ: **« أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي»**[٣٢]. وإذا كان اليهود يعتقدون في نبوة موسى عليه السلام وأنهم مصطفون لدخول الجنة ـ إن صدقوا ـ فإننا نحن المسلمون نؤمن بموسى وبجميع الرسل وبنبينا محمد ﷺ ، فإنا داخلوا الجنة معهم ولكن لا يدخلوها لعدم إيمانهم بمحمد ﷺ خصوصاً من أدرك بعثته وحتى يومنا هذا ولم يصدقه ويؤدي حقه. وكذا الحال بالنسبة للنصارى إن كانوا يعتقدون في نبوة عيسى عليه السلام وأنهم مصطفون لدخول الجنة ـ إن صدقوا ـ فإننا نحن المسلمون نؤمن بعيسى ﷺ فإنا داخلوا الجنة معهم ـ إن صدقوا ـ ولكن لا يدخلوها لأنهم لم يؤمنوا بالنبي الأمي محمد ﷺ خصوصاً من أدركه في حياته وحتى يومنا هذا ولم يصدقه ويؤدي حقه ﷺ. ومع هذا فقاعدة الإسلام العريضة في اختيار الدين الحق أمر عائد للإنسان جاء ذكره في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٣٣]، ومن حق الأنبياء على كل إنسان أن يصدق ما جاؤوا به من كتب الله، فنحن المسلمين لانعد القرآن الكريم وحده كتاب الله، بل التوراة والإنجيل ـ الصحيحتين دون تحريف ـ أيضاً

كتب الله المنزلة على أنبيائه، ولايمكن لمؤمن أن يكن أي شعور يظهر فيه عدم احترامه لهذه الكتب المقدسة. وإذا كانت هناك مناقشات فيما بين المسلمين والمسيحيين حول الكتاب المقدس، فقد كان ذلك يتصل بالنظر إلى تأكيد ما إذا كان الكتاب المقدس المتداول الآن في شكله الحالي كتاباً صحيحاً، يعتمد عليه أم لا؟ وما إذا كان يضم ما أوحى به الله إلى الأنبياء أم لا؟ وهذه المشكلة نوقشت على نطاق واسع حتى من قبل العلماء المسيحيين أنفسهم، ولكن لم يحدث أن مسلماً أنكر أن الله أوحى إلى أنبيائه موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بما في التوراة والإنجيل الصحيحتين وأين هما؟ مع أن المسلمين يتحفظون فيما إذا كان الكتاب المقدس المتداول أمامنا اليوم بين أهل الكتاب هو كلام الله لما فيهما من تحريف وتناقض، وما يتضمن بعض أجزائه نقلاً بشرياً وتاريخياً مختلط مع الوحي الإلهي إلى الأنبياء والرسل، فضلاً عن تعدد نسخ الإنجيل وما فيها من تباين واختلاف وتناقض. والواقع فإن المسيحيين لم يشكوا مرة من أن المسلمين سبوا أنبيائهم أو أساؤوا إلى كتبهم المقدسة، بل العكس هو الصحيح، فإن تجربة المسلمين هي أنهم كانوا دائماً يتعرضون لسباب النصارى واليهود وغيرهم، وقد يستمر هذا الموقف المؤلم دون هوادة على امتداد قرون كثيرة منهم تجاه المسلمين، وإن المستشرقين وغيرهم من الكتاب والأدباء المسيحيين لاتكاد تفلت من أيديهم فرصة لنفث سمومهم ضد نبينا محمد ﷺ، وضد القرآن الكريم، وضد المسلمين ودينهم. وقد جمعت في كتابي (صورة الإسلام في الأدب الإنجليزي) ما عملت به أقلام كتاب الأدب الإنجليزي في الإساءة إلى الإسلام وهذا في موضوع تخصصي فما بالك في تخصصات علوم الأديان والتاريخ والفلسفة .. إلخ.

إن محمد ﷺ هو النبي الأمي الذي ورد ذكره في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ

عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣٤]، وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك؛ دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات المؤمنين يرين»**، وفي رواية: **« وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام»**، وفي رواية: **«وبشارة عيسى قومه»**، وفي رواية الطبراني وقال: **« سأحدثكم بتأويل ذلك؛ دعوة إبراهيم دعا: «وابعث فيهم رسولاً منهم»، وبشارة عيسى ابن مريم قوله: «ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»، ورؤيا أمي التي رأت في منامها أنها وضعت نوراً أضاءت منه قصور الشام»**.[٣٥]

والبشارة بالنبي محمد ﷺ وبنبوته جاءت في التوراة والإنجيل متواترة ومتكررة كما هو مبين في سفر التكوين، الإصحاح الحادي عشر الفقرات الرابعة عشر والحادية والعشرون والثانية والعشرون. وفي سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر الفقرات الثامنة عشر والتاسعة عشر، وفي الإصحاح ثلاثة وثلاثون الفقرتين الأولى والثانية، وفي المزمور الخامس والأربعون الفقرات من الثانية حتى السابعة عشر ضمن جملة المزامير المنسوبة إلى نبي الله داود عليه الصلاة والسلام، وفي سفر شعيا الإصحاح الستون الفقرات الرابعة حتى الثانية عشر، وعن بشارته ونبوته في العهد الجديد ورد ذكر النبي محمد ﷺ في الإصحاح الثالث الفقرة الثانية، وفي الإصحاح الرابع الفقرة السابعة عشرة، وفي الإصحاح السادس الفقرتين التاسعة والعاشرة، وفي الإصحاح التاسع الفقرة الثانية ، وفي الإصحاح الحادي عشر الفقرة الثانية، وغيرها من المواطن التي يمكن الرجوع إليها من مختلف طبعات التوراة وكذا في مختلف طبعات الأناجيل مع ما فيه من حذف وتحريف و تبديل بقصة إنكار نبوة الرسول محمد ﷺ وإثبات بطلان حقيقة الدين الإسلامي، وهذا لا يفوت على القارىء الذكي الفطن والباحث الموضوعي والناقد البصير، وقد جاء

في الباب التاسع من كتاب: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) لأبي محمد عبدالله الترجمان الميورقي المتوفى سنة ٨٣٢هـ ، وكان يدعى قبل إسلامه (انسلم تورميدا) دليل على ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ بنص التوراة والإنجيل، يقول : «ومن ذلك ما اتفق عليه الأربعة الذين كتبوا الأناجيل : أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال للحواريين حين رفع إلى السماء : إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ، وأبشركم بنبي يأتي من بعدي اسمه «بارقليط» ، وهذا الاسم هو باللسان اليوناني ، وتفسيره بالعربية أحمد، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وهو في الإنجيل أيضاً باسم (بالطئ براكلتس) ، وهذا الاسم الشريف المبارك هو الذي كان سبب إسلامي كما تقدم ذكره في أول الكتاب، ومن ذلك ما قاله يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله : إن عيسى قال : البارقليط الذي يرسله أبي من بعدي لايقول من تلقاء نفسه شيئاً ولكن يناجيكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب، ومن ذلك ماقاله النبي ميشا في الفصل الرابع من كتابه: « في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة، وتختار الجبل المبارك ليعبدوا الله فيه، ويجتمعون من كل الأقاليم فيه ليعبدوا الله الواحد، ولايشركوا به شيئاً»، وهذا الجبل هو جبل عرفات بلاشك، والأمة المرحومة هي أمة محمد ﷺ، والاجتماع بالجبل المبارك هو اجتماع الحجاج بعرفات وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم» وقارن ذلك مع (هيخا٤ : ٢١).[٣٦]

إن كثيراً من أهل الكتاب يعرفون هذا الرسول ويجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا من قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام ، ولكن عندما بُعث كبرت على اليهود أنفسهم ، فروجوا الأقاويل ، وأذاعوا الأباطيل ، وقالوا منكراً من القول وزوراً، فكفروا به حسداً من عند أنفسهم، كانت تلك هي سبيل الكثيرين من الذين ساروا في ركابهم، فأضلهم الله على علم بما لبَّسُوا الحق بالباطل ، وجحدوا حقوق النبي محمد عليه الصلاة

والسلام وكذبوا أنبياءهم وبشارتهم به فظلموا أنفسهم وأنكروا حقوق الأنبياء فسهل عليهم إنكار حقوق الإنسان وبالتحديد الإنسان المسلم خصوصاً ما حدث في بعض الدول عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م وما كان فيه انتهاك واضح لحقوق الإنسان المسلم فلم تسلم النساء والأطفال، وهذا خير شاهد لا ينكره إلا جاهل أو متحامل أو جاحد للحق ، هذا مع أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الأصل وعاء تنصهر فيه غالباً حقوق جميع الناس بدياناتهم المختلفة بما نص عليه في المادة الثامنة عشرة، وبالتالي فإن اعتناق الديانات والمعتقدات المختلفة ينبغي أن لا يؤثر سلباً على حقوق أصحاب أي دين من الأديان بالإساءة إلى أركان وشعائر الدين خصوصاً نبي ذاك الدين واتباعه .

ومع أن نصوص الأناجيل المطبوعة بالعربية خلت من الإشارة إلى البشارة بالفارقليط إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى نقلا عن نسخ خطية للأناجيل نصوصاً في ذكر الفارقليط، كما نقلها الشيخ رحمه الله الهندي في كتابه إظهار الحق نصوصاً عن ترجمات عربية ترجع إلى أعوام ١٨٢١م، ١٨٢٢م، ١٨٤٤م موجودة في مكتبة المتحف البريطاني في لندن. ومع هذه البراهين الدالة على نبوة الرسول ﷺ وأنها متأكدة عند اليهود والنصارى، إلا أنهم ينكرون ذلك ولا يعترفون للمسلمين بحقوقهم الدينية، الحق في الإله الواحد، والحق في ختم النبوة بمحمد ﷺ، والحق في عقيدة وشريعة الإسلام. ولننظر في صورة مقارنة كيف حفظ الإسلام حقوق الآخرين الدينية خصوصاً اليهود والنصارى، وكيف هم ينتهكون الحقوق الدينية للمسلمين مما سنورده من حقائق ووقائع عن النظرة الإسلامية إلى الأنبياء واتباعهم وأديانهم وعكسها عند اليهود والنصارى وذلك في جملة ما أورده الدكتور محمد عمارة في كتابه: (الإسلام والآخر : من يعترف بمن؟ ومن ينكر من ؟).

لئن زعم اليهود بصدق نواياهم وسلامة معتقداتهم وبراءة تاريخهم وجملة تراثهم

من إنكار الآخر والإساءة إليه، ثم يسعون إلى مطالبة حكومات وشعوب أوربا بالتعويض عن ما لحقهم مما زعموه باسم (مجزرة ومحرقة إبادة اليهود) الهلوكوست **Holocaust** لبراءتهم، لنا أن نسبر غور كتبهم وما فيها من باطل نحو الآخرين الذين أظهر القرآن الكريم حقيقتهم بأنهم لا عليهم في الأميين سبيل أي الأغيار **The Gentiles** ، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[٣٧] ، فالآية تبين خيانة اليهود ومن شايعهم في انتهاك حقوق الإنسان في ماله ودمه وعرضه .. إلخ ، والواقع المشاهد لهو دليل على ما تفعله بعض الدول الكبرى في اغتصاب حقوق الناس أموالهم وأراضيهم وثرواتهم ومقدرات بلادهم وهذا مناف لأبسط قواعد الحقوق والأمانة، عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : لما قال أهل الكتاب (ليس علينا في الأميين سبيل) ، قال نبي الله ﷺ : « **كذب أعداء الله، ما من شيء كان في الجاهلية إلا هو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فإن مؤداها إلى البر والفاجر**» [٣٨]، فلنرى ما هي نظرة القرآن إلى موسى واليهودية وما هي نظرة اليهود إلى الإسلام والمسلمين ونبيهم محمد ﷺ .

حقوق موسى عليه السلام في الشريعة الإسلامية

إن صورة نبي الله موسى وأخيه هارون عليهما السلام في الثقافة الإسلامية هي صورة حبيب الله، الذي صنعه الله على عينه، واستخلصه لنفسه، وآتاه الكتاب والفرقان والسلطان، وصورة التوراة ـ في القرآن الكريم ـ هي صورة الإمام، والرحمة، والهدى، والنور، وهذا القرآن يورد أوصافاً عديدة عن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وكتابهما وما كان لمسلم أن يخفيها أو ينكرها لأنها مبادىء حقوقية عقيدة وشريعة وعبادة ، قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾[٣٩]، وقال تعالى: ﴿ **سَلاَمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ**

وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٠]. وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[٤١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[٤٤]، وصدق الله العظيم القائل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[٤٥].

تلك هي الصورة القرآنية ونظرة الإسلام تجاه أنبياء اليهودية وشريعتها وكتابها، فهل يستطيع حتى أكثر حاخامات اليهود الأرثوذكسية تعصباً، أو أشد علمانييها تحرراً أن يجد شيئاً من ذلك أو شبيهاً بشيء من ذلك في تصورات اليهود وثقافتهم عن الآخر، وخاصة إذا كان هذا الآخر هو الإسلام والقرآن ورسول المسلمين وأمة الإسلام وحضارتهم وتاريخهم؟! إذن أين حقوق الإنسان وحفظها للآخرين من اليهود الذين أنكروا الإسلام ونبوة رسول الإسلام ﷺ؟

والمسلمون من خلال حضارتهم ودولتهم وتاريخهم وفقه معاملاتهم لم يقفوا بهذه الصورة عن الآخر اليهودي عند حدود الأفكار المجردة والنظريات الفلسفية، وإنما وضعوها في الممارسة والتطبيق منذ عصر النبوة، وعبر تاريخ حضارة الإسلام. ففي دستور دولة النبوة ـ الدولة الإسلامية الأولى ـ التي قامت بالمدينة المنورة عقب هجرة الرسول محمد ﷺ إليها من مكة في العام الأول للهجرة الموافق لعام ٦٢٢ من الميلاد نجد مواد هذا الدستور ـ الذي اشتهر في مصادر التاريخ الإسلامي بـ (الصحيفة أو الكتاب) ـ وتشتمل مواد هذا الدستور اثنتين وخمسين مادة، وفيها الحديث عن اليهود في أربع عشرة مادة، وفي هذه المواد تشريع لدمج اليهود في رعية الدولة، واعتبارهم (أمة مع المؤمنين) ـ المهاجرين والأنصار، وتشريع المساواة بينهم وبين المؤمنين في الحقوق والواجبات، مع إثبات حقهم الكامل في الاعتقاد

الديني الذي يختلفون فيه مع الإسلام والمسلمين، فنقرأ في هذه المواد الدستورية أرقى صور التشريع للاعتراف بالآخر، ومساواة الأقلية للأغلبية، وتقرير التعددية الدينية في رعية الدولة الواحدة، نقرأ عهد الرسول محمد ﷺ إلى اليهود وفيه : «ويهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ ـ (يهلك) ـ إلا نفسه وأهل بيته، ومن تبعنا من يهود فإنه له النصر والأسوة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم، ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، أن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم»[٤٦].

حقوق محمد ﷺ في الرؤية اليهودية

مع وضوح القواعد الإسلامية الشديدة الإشراق والتألق التي فتح الإسلام بها كتاب العلاقة بالآخر اليهودي عندما شرَّعت الدولة الإسلامية الحرية الدينية، والتعددية الدينية، والمساواة في حقوق المواطنة، في داخل الأمة الواحدة والدولة الواحدة، إلا أن اليهود العبرانيين نقضوا عهودهم مع رسول الله ﷺ والدولة الإسلامية، وخيانتهم العظمى للمسلمين إبان ذروة الحصار والقتال في غزوة الخندق ـ الأحزاب ـ وفي أشد اللحظات القتالية حرجاً، عندما زاغت أبصار المسلمين المحاصرين وبلغت القلوب الحناجر، وظن الناس بالله الظنون، لقد خان اليهود دولة الإسلام، ونقضوا عهودهم مع المسلمين، وتعاونوا ـ متآمرين ـ مع جيش الشرك المحاصر للمسلمين في المدينة، قال تعالى : ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[٤٧]. ثم تواصلت خيانة اليهود ومساعيهم لجمع كلمة الشرك والوثنية ضد التوحيد الإسلامي ودولته وأمته، لقد ذهبوا ـ إبان هذه

المساعي ـ إلى الحد الذي شهدوا فيه ـ وهم أهل كتاب ـ أن الشرك والوثنية أصح وأفضل من التوحيد الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين!! فعندما سألهم مشركوا قريش : يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ كانت إجابة يهود خيبر : بل دينكم خير من دينه، فأنتم أولى بالحق!

هكذا أيد اليهود المشركين واعترافوا بأصنامهم وأوثانهم فهم إن أنكروا حقيقة الإسلام فهم كفروا بكتابهم، وفي ذلك نزل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[٤٨]، وحتى بعد هذا الذي صنعوه، لم يغير المسلمون الموقف الإسلامي من الآخر اليهودي، لقد أمنوا قاعدة الدولة الإسلامية، بإجلاء الخونة عن هذه القاعدة، ثم تركوا أبواب المدن الإسلامية والولايات الإسلامية مفتوحة أمام اليهود، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فعادوا للعيش في مدينة القدس ـ عقب فتح الإسلام لها ـ بعد أن كانوا مطرودين منها، وأحسنت إليهم الدولة الإسلامية، على حين كان الاضطهاد واللعن والاحتقار والطرد والقتل من نصيبهم في مختلف الحضارات والدول غير الإسلامية التي عاشوا فيها، لكن النزعة العنصرية التي جعلتهم يحولون اليهودية عن روح الدين الإلهي إلى نسق فكري عنصري قد جعلتهم يرفضون الآخر، كل الآخر على مر تاريخهم الطويل، لقد انحرفوا باليهودية إلى العنصرية، ثم أخذوا يتغذون من هذه اليهودية التلمودية العنصرية، فغدوا النموذج الأول في رفض كل الآخرين. والمثال شاهد لما يراه الإنسان اليوم وما يجري في أرض فلسطين من قوة المغتصب والمحتل الإسرائيلي الذي يدعي رعاية حقوق الإنسان وهو ينتهكها، وهذا سنبينه في فصل لاحق من هذه الموسوعة عن انتهاك حقوق الإنسان في فلسطين أنموذجاً لإنكار اليهود للآخر وانتهاك حقوقه.

لقد التزم اليهود ومن شايعهم موقف الكيل بمكيالين منذ انحرافهم عن شريعة

موسى عليه السلام، واستبدال الشريعة العنصرية التي كتبوها في التلمود بالشريعة الموسوية، فجعلوا قيم الشريعة وعدلها وإنصافها احتكاراً لطوائفهم التي ظلت عبر التاريخ قلة عددية ضئيلة بالنسبة للأمم والشعوب، وهم الآن لا يبلغون الخمسة عشر مليوناً بينما تعداد البشرية قد بلغ ستة مليارات. جعلوا قيم الشريعة وعدلها وإنصافها احتكاراً للمعاملات فيما بينهم فقط، واستباحوا وأباحوا كل المحرمات والفواحش والموبقات، حتى التي حرمتها شريعتهم في التعامل مع الآخرين، كل الآخرين[٤٩]. وإذا كان البعض يشك في رواية كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) الطافح بتقنين سياسة الكيل بمكيالين، فإن الممارسات التاريخية والعملية لليهود مع الآخرين ـ الأغيار ـ قد كانت تجسيداً لهذه السياسة[٥٠]، فالربا، الذي تحرمه الشريعة الموسوية، هم يحرمونه فيما بينهم فقط، بينما أوجبوه واحترفوا إقامة مؤسساته وممارسة أبشع أنواعه مع الآخرين، وكذلك الحال مع أخلاقيات وقيم الكذب .. والسرقة .. والقتل .. والزنا .. والخداع .. ونقض العهود .. حتى غدا ذلك سُنَّةً متبعة في تعاملهم مع الآخرين، الأغيار[٥١]، وصدق الله العظيم عندما يصور هذا الموقف اليهودي ـ موقف يهودية التلمود ـ من الآخرين فيقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٥٢].

هذا موجز عن نظرة اليهود إلى الآخرين وبالأخص المسلم والعربي وسوف نضيف إلى ذلك المزيد عند حديثنا عن الحرب ومعاملة اليهود للأغيار في فصل لاحق من هذه الموسوعة لنعرف من الذي يحفظ حقوق الإنسان ومن ينتهكها بدءً بالاعتراف للآخر بدينه ونبوة رسوله ﷺ.

حقوق عيسى عليه السلام في الرؤية الإسلامية

وبنفس النظرة الإسلامية لليهود نجد صورة نبي الله عيسى ابن مريم عليهما السلام في الدين الإسلامي ـ قرآنا وسنة ـ وفي الثقافة الإسلامية عموماً، وكذلك مع النصارى في تنظيم الدولة الإسلامية، وتاريخ وحضارة الإسلام وحفظ حقوق الإنسان، فعيسى عليه السلام هو : الوجيه، المبارك، المؤيد بالبينات وروح القدس، وبالكتاب والحكمة، وبالمعجزات، والذي عليه سلام الله يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً، قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(٥٣)، وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(٥٤)، وقال عز وجل : ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾(٥٥)، وقال سبحانه : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾(٥٦)، وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٥٧).

تلك هي صورة عيسى وإنجيله الذي يطلب القرآن من أهله أن يحتكموا إليه، ويحكموا بما فيه، أما صورة النصارى في الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، والثقافة الإسلامية، منذ العهد النبوي وحتى عصرنا الراهن، فلقد كانت ـ في

مجملها ـ هي التطبيق والتسجيد لهذا الموقف القرآني، فالرسول ﷺ هو الذي تحدث عن عيسى عليه السلام، فقال : «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وليس بيننا نبي**»(٥٨).

وعندما بدأت العلاقات بين سلطة الدولة الإسلامية الأولى على عهد النبي ﷺ وبين الرعية المتدينة بالنصرانية، قررت لهم الدولة الإسلامية بالكتب والعهود الموثقة كتابة وإشهاداً، والممهورة بخاتم رسول الله ﷺ، قررت لهم كامل المساواة في حقوق وواجبات المواطنة، بإطار الأمة الواحدة والرعية الواحدة لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وجاء في عهد رسول الله ﷺ لنصارى نجران وعموم المتدينين النصرانية قوله : «لنجران وحاشيتها، وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض، جوار الله وذمة محمد رسول الله، على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، أن أحمي جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان ومواطن السياح، وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي، لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام، والذب عن الحرمة، واستوجبوا أن يذب عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه، وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية، ولا يُحشرون، ولا يعشرُّون، وليس عليهم خراج ولا جزية إلا على من يكون في يده ميراث من ميراث الأرض، ممن يجب عليه فيه للسلطان حق، فيؤدي ذلك على ما يؤديه مثله، ولا يجار عليه، ولا يحمل منه إلا قدر طاقته وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها، ولا يكلف شططاً، ولا يتجاوز به أصحاب الخراج من

نظرائه. ولا يكلف أحداً من أهل الذمة منهم الخروج مع المسلمين إلى عدوهم، لملاقاة الحروب ومكاشفة الأقران، وأن يكون المسلمون ذباباً عنهم، وجواراً من دونهم، ولا يكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذي يلقون فيه عدوهم، بقوة سلاح أو خيل، إلا أن يتبرعوا من تلقاء أنفسهم، فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به، حمد عليه وعرف له، وكوفيء به. ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النَصْفَ (العدل) غير ظالمين ولا مظلومين. ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، ولا إدخال شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد ولا منازل المسلمين. ولا يحملوا من النكاح شططاً لا يريدونه، ولا يكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضاروا في ذلك إن منعوا خاطباً وأبوا تزويجاً، لأن ذلك لا يكون إلا بطيبة قلوبهم، ومسامحة أهوائهم إن أحبوه ورضوا به. وإذا صارت النصرانية عند المسلم، فعليه أن يرضى بنصرانيتها، ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، لا يمنعها ذلك، فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها، فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله، وهو عند الله من الكاذبين. ولهم ـ إن احتاجوا إلى مرمة بيعهم وصوامعهم، أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم إلى رفد من المسلمين وتقوية لهم على مرمتها، أن يفردوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك دَيْناً عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله لهم، ومنه لله ورسوله عليهم، ولا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرهاً على الإسلام : ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، ويخفض لهم جناح الرحمة، ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا، وأين كانوا من البلاد[٥٩].

واشترط عليهم الرسول ﷺ أموراً يجب عليهم في دينهم التمسك والوفاء بما عاهدهم عليها، منها : «ألا يكون أحد منهم عيناً ولا رقيباً لأحد من أهل الحرب

على أحد من المسلمين في سره وعلانيته، ولا يأوى منازلهم عدو للمسلمين، يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يرفدوا أحداً من أهل الحرب على المسلمين، بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم، وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم وعند منازلهم، ومواطن عباداتهم، أن يؤوهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشوا به مما كانوا مجتمعين، وأن يكتموا عليهم ، ولا يظهروا على عوراتهم، ولا يخلوا شيئاً من الواجب عليهم»[٦٠].

تلك هي صورة الآخر النصراني في الدولة الإسلامية الأولى، كما حددتها ورسمت معالمها معاهدات رسول الله ﷺ مع النصارى من أهل نجران وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض، لقد قرر لهم الإسلام ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، فجعل الآخر جزءاً من الذات، ذات الأمة الواحدة والرعية المتحدة في حقوق وواجبات المواطنة، مع حرية التعدد والاختلاف في الدين، دون أدنى تمييز أو إكراه.

ولننظر إلى موقف الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه يقرر للمقوقس ــ ولسائر النصارى ــ حرية التدين بدين المسيح، بل ويدعوه على الالتزام بذلك الدين، فيقول له : «ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به»[٦١]، فالإسلام هو الذي يجعل التعددية والاختلاف في الشرائع الدينية سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل، قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٦٢].

وعلى هذه السنة التي سنها رسول الله ﷺ سارت دولة الخلافة الراشدة، فعمر بن الخطاب عندما تسلم مدينة «إيليا» ــ بيت المقدس ــ سنة ١٥هـ ٦٣٥م، كتب لنصاراها عهداً قرر فيه : «الأمان لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها

وبريئها وسائر ملتها. وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وما له مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وبيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد وذمة رسوله، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين»[٦٣]. ثم تمضي الحياة في الدولة الإسلامية ومجتمعاتها، عبر تاريخها الحضاري، محافظة على هذا النهج إزاء الآخر النصراني، فينقذ الفتح الإسلامي لمصر نصارى القبط ونصرانيتهم من الهلاك والزوال، فقبل هذا الفتح كان الغزو والقهر الإغريقي والروماني والبيزنطي ـ الذي استمر نحو ما يزيد عن عشرة قرون ـ من فتح الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتح الإسلامي في القرن السابع للميلاد، كان قد بلغ بمصر حد «الحرمان الحضاري» عندما حرمها من الثقافة الوطنية، ومن اللغة القومية التي قهرت فكتبت بالحروف اليونانية، وذلك فضلاً عن الحرمان من سياسة الدولة وسلطانها.

أما عن الاضطهاد الديني الذي نزل بنصارى مصر ـ سواء في عهد الوثنية الرومانية أو عهد نصرانيتها ـ فلقد بلغ من البشاعة حداً لم يشهد التاريخ بعصر شدائده لدى الكنيسة القبطية حتى الآن، فالإبادة التي مارسها الإمبراطور الروماني «دقلديانوس» جعلت عصره ـ بالنسبة للنصرانية المصرية ـ «عصر الشهداء» ، وعلى نهج دقلديانوس «الوثني سار الإمبراطور الروماني ـ النصراني ـ جستنيان الأول» رغم «مدونته القانونية» ـ فقتل الفا قبطيا بالإسكندرية وحدها، ومن نجا من القتل كان قد هرب إلى الصحراء وكان منهم القس «بنيامين» ـ أو «أبو الميامين» ـ الذي اختفى في الصحراء ثلاثة عشر عاماً، ولكن الرومان قضوا على أخيه وعذبوه عذاباً

بشعاً، بالإحراق بالمشاعل، وخلع أسنانه، وتهديده بالإغراق في البحر ، فلما لم يتراجع أحرقوه وألقوه في البحر غريقاً[٦٤].

فلما جاء الفتح الإسلامي أمّن عمرو بن العاص البطريك «بنيامين» واستدعاه، واستقبله، وأكرمه، وأعاده إلى كرسي كنيسته معززاً مؤيداً. واستعاد الإسلام الكنائس المصرية من الاحتلال البزنطي، واغتصاب المذهب الملكاني الروماني لهذه الكنائس، لا ليجعلها مساجد إسلامية، وإنما ليعيدها إلى نصارى مصر مرة أخرى ـ ولعلها كانت المرة الأولى التي يشهد فيها التاريخ الإنساني هذا الصنيع ـ حتى لقد اعتبر فقهاء الإسلام ـ ومنهم «الليث بن سعد» أن جميع كنائس مصر قد حدثت في ظل دولة الإسلام، لأن أقباط مصر لم تكن لهم كنائس حتى حررهم وحرر نصرانيتهم الإسلام.

وكان هذا الذي صنعه الإسلام ـ الدين والدولة والمجتمع ـ مع «الآخر النصراني» في مصر وغيرها من بلاد المسلمين النموذج الذي تجسد مع كل النصارى في مختلف البلاد التي فتحها الإسلام، عندما انتمت شعوبها ـ على اختلاف عقائدها الدينية ـ إلى أمة ودولة وحضارة الإسلام، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين ، بل إن المتأمل لصنيع الإسلام مع عموم أهل الكتاب، يراه قد تجاوز جعلهم جزءاً من الأمة والرعية، إلى جعلهم ـ أيضاً ـ بالمصاهرة جزءاً من أسرة المسلم، وذلك عندما تصبح الزوجة الكتابية سكناً للزوج المسلم وينشأ أولاده منها وأخوالهم كتابيون، فتصبح الصلات بينهم في مستوى «أولي الأرحام».

حقوق محمد ﷺ في الرؤية النصرانية

وإذا كانت تلك هي صورة «الآخر النصراني» في الدين الإسلامي ودولته ومجتمعه وثقافته، فما هي صورة الإسلام، ورسول الإسلام ﷺ، وكتاب الإسلام، وأمة الإسلام في الثقافة النصرانية واللاهوت النصراني؟، إن صورة «الآخر الإسلامي» في الثقافة اللاهوتية الغربية طافحة بما يعمي العين عن القراءة ويصم

الأذن عن السماع ويشل اليد عن كتابته مرة أخرى، وإذا كان لابد من إيراد بعض الأمثلة على ملامح هذه الصورة الزائفة والبشعة والشوهاء، نورد ما كتبه أحد الكتّاب الألمان المعاصرين فقال : «لقد اعتبر المسيحيون الأوربيون محمداً ﷺ رجلاً عاش حياة داعرة، وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط، ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينالاً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية، في القرون الوسطى، محمد المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية»(٦٥).

كما يتحدث أكبر فلاسفة الكاثولويكية «القديس» توما الأكويني عن رسول الإسلام، فيصوره للثقافة اللاهوتية النصرانية، بقوله : «لقد أغوى محمد الشعب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية، وحرف جميع الأدلة الواردة في التوراة والإنجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابها، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في البادية»(٦٦).

أما «مارتن لوثر» رأس البروتستانتية فيتحدث عن القرآن الكريم بقوله: «أي كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن، المليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع». ويصف لوثر رسول الإسلام محمد ﷺ بأنه «خادم العاهرات وصائد المومسات»، كل ذلك ليجيِّش القساوسة والدهماء في الحرب ضد الأتراك العثمانيين، فيقول : «على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضاً ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم في الحرب ـ ضد الأتراك ـ ويضحو ا بأموالهم وأنفسهم»(٦٧).

فهل هناك مقارنة ـ أدنى مقارنة ـ أو شبه ـ أدنى شبه ـ بين ثقافة إسلامية لا يكتمل إيمان أهلها إلا بما رأينا من أوصاف قرآنية لموسى وعيسى ومريم، عليهم السلام وجعل أتباعهم جزءًا من الأمة الإسلامية لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وبين

هذه الثقافة النصرانية اللاهوتية التي علقت قوة الإيمان بالمسيحية يقوم على عداوة الآخر وإنكار حقوقه لا الدينية فحسب بل الإنسانية أيضاً، لقد حولت الحضارة الغربية بماديتها وفكرها الملحد العلماني الديانة النصرانية عن طبيعتها الصوفية المسالمة، وأخرجتها عن رسالتها التي وقفت عند «خلاص الروح ومملكة السماء» وطوعتها إلى النزعة « الصراعية الدنيوية » التي سادت نظريات وممارسات تلك الحضارة المادية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والعمران والدين، فكيف يكون لحضارة هذه سماتها أن تحفظ حقوق الإنسان وعلى الأخص الإنسان المسلم؟، ولقد كان عبقرياً ذلك الفيلسوف المعتزلي، عبد الجبار بن أحمد الهمداني عندما شخص هذا «التحول الانقلابي» الذي حدث للنصرانية الغربية في عبارته الحكيمة الجامعة التي تقول : «إن النصرانية عندما دخلت روما لم تنتصر روما، ولكن النصرانية هي التي تروّمت».

ولهذا كان الضيق بالآخر والإنكار له، والسعي في اضطهاده واستئصاله موقفاً عاماً، ومؤسسياً، ينظر له معظم «القديسون» ويجعلونه من مقتضيات «قانون الإيمان»، ثم تنهض البابوية والكنائس بإجبار الدول والأباطرة والملوك والأمراء ـ فضلاً عن الدهماء ـ على شن حملات الاضطهاد والحروب والإبادة للمخالفين. فالقديس «أوغسطين» **Augustin** وهو من أشهر آباء الكنيسة الغربية هو الذي صاغ مبدأ الاضطهاد للمخالفين، وأقامه على أساس من الكتاب المقدس، مستنداً إلى كلمات فاه بها المسيح ـ عليه السلام ـ هكذا زعموا في «مثل من أمثاله» التي كان يسوقها إلى حواريه، بقوله ـ «أجبروهم على اعتناق دينكم»[٦٨]، فوضع هذا القديس للكنيسة دستور اضطهاد المخالفين بعقوبات النفي والجلد والغرامات والإعدام ذبحاً وحرقاً، ومضت الكنيسة «مجاهدة» لتطبيق هذا الدستور، واستمر الأمر حتى يومنا هذا وأن اختلفت الوسائل والأدوات، فأين حقوق الآخرين؟

وعندما حصرت الكنيسة الغربية «الخلاص» في «الكثلكة» حكمت بأن

«خلاص» مخالفيها هو «بتخليصهم من الحياة»، فهل حرمان الإنسان من الحياة وإكراهه على دين لا يريده يتوافق مع مبادىء حقوق الإنسان؟ أليس الإضطهاد الديني والإكراه على الدين أشد سوءاً من عقوبة المرتد في الإسلام؟ فكم كان عدد المرتددين عن الإسلام واصابهم حد الردة؟ وكم كان عدد المضطهدين وقد قتلوا وحرموا الحق في الحياة وحرية الدين؟ «فالذين لا يذعنون للكنيسة ويعتقدون بصدق نظرياتهم، تحيق بهم اللعنة الأبدية لا محالة، ويصبح إنقاذ الدنيا منهم واجباً مقدساً، وحتى الطفل ـ على براءته وخلو ساحته من الخطايا ـ متى مات من غير تعميد ـ على المذهب الكاثوليكي ـ قضى بقية حياته في جهنم، ولذلك، كان طبيعياً ـ في ظل هذه العقيدة للخلاص، وهذا الدستور لاضطهاد المخالفين - أن يتعرض المتهمون بالمروق لأشد صنوف العذاب[٦٩]، إذا كان هذا بين الطوائف النصرانية والأمر لا يعدو مخالفة اجتهاد، فكيف مع المسلمين والأمر فيه مخالفة في العقيدة والاعتقاد والشريعة والتشريع، وانطلاقاً من «عقيدة» خلاص المخالفين بتخليصهم من الحياة، وتعريضهم لمختلف صنوف العذاب مهد البابا «إنوسنت الثالث» في سنة ١٢٠٨م لنظام محاكم التفتيش التي عذب وقتل وشرد بسببها آلاف المسلمين في إسبانيا وغيرها[٧٠].

كيف ينادى بحقوق الإنسان والحال هذه في نظرة النصرانية إلى الاسلام والمسلمين؟ وسيتضح للقارىء المزيد من الحقائق في ثنايا هذه الموسوعة في هذا الموضوع وغيره من الموضوعات، وإن المرء عندما يقرأ «مبدأ قانونياً» يقول: «لأن يدان مائة بريء زوراً وبهتاناً، ويعانوا العذاب ألواناً، خير من أن يهرب من العقاب مذنب واحد»، لا يسعه إلا أن يتذكر عظمة الإسلام، وقول القرآن الكريم للمشركين في قوله تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٧١] وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٧٢]، وقوله جل شأنه: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[٧٣].

ووصية الإسلام للمؤمنين بأهل الكتاب ـ الجاحدين للإسلام ـ في قوله تعالى: ﴿وَلا

تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٧٤]، ووصيته للمؤمنين بالعدل حتى مع من يكرهونه، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٧٥]، ولا يسعه ألا أن يَتَذَكَّرْ ـ ويُذَكَّرْ ـ بكلمات حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الذي قال: «ينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلاً، فإنه لا يسارع إلى التكفير إلا الجهلة، وإن استباحة الدماء والأموال من المصلين للقبلة، المصرحين بقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله، خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم الإسلام»[٧٦]، وأن يتذكر ـ كذلك ـ القاعدة الشرعية، التي أوردها الإمام محمد عبده، عندما قال : «لقد اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم : أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر»[٧٧].

لابد ـ في هذا المقام ـ من المقارنة لنعرف الفوارق بين النعمة والرحمة، وبين النقمة واللعنة اللتين تحولت إليهما الديانة النصرانية على يد القساوسة والرهبان حتى نفر منها ومجها النصارى أنفسهم ، يقول الكاتب الروسي تولستوى : « وبالجملة فإن جميع الطوائف النصرانية مصدقون بعقائد لا تنفع الحياة ويقضي بفسادها العقل الصحيح»[٧٨].

وإذا كان هذا هو حال الإنكار والاستئصال بين الكاثوليك والبروتستانت وكل منهما إزاء الآخر، وكل واحد منهما ضد كل المخالفين له ـــ فإن حال انتشار النصرانية رغم أصولها الروحية المتصوفة، ونزعتها السليمة المرهبنة لم يكن أقل في العنف والإبادة وإسالة الدماء ضد المخالفين في الدين من أهل ملة الإسلام. فالدولة الرومانية، بعد أن كانت ـ في حقبة وثنيتها ـ تُكْرِه النصارى على الارتداد إلى الوثنية، أصبحت ـ بعد تنصرها ـ تُكْرِه الوثنيين والمخالفين على الدخول في دين المسيح، وإلا فإن الجزاء هو الاضطهاد والتعذيب والإعدام.

لقد عاشت وازدهرت كل ألوان الطيف الدينية والمذهبية تحت راية الإسلام، وفي ظل حاكمية شريعته، وشرع لبقائها ولحقوقها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ووضعت الحضارة الإسلامية هذا التشريع في الممارسة والتطبيق دون إكراه في الدين ، وعملاً بقوله جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٧٩]، ولكن الأمر على عكس ذلك في معاملة النصارى للمسلمين حتى في العصر الحديث الذي بدأ بالحملات العسكرية الاستعمارية على بلاد المسلمين، هذا العصر الذي تنادى فيه المتنادون بعصر الحريات وحقوق الإنسان والسيادة السياسية والحرية الاقتصادية، وإليك أمثلة دالة على ضياع حقوق الإنسان المسلم ونظرة الآخر إليه.

فمن على أسوار «عكا» إبان حصار بونابرت لها عام (١٢١٣هـ ـ ١٧٩٩م) أصدر القائد نداءه إلى يهود العالم، داعياً إياهم إلى معاونته في بناء إمبراطوريته الاستعمارية الشرقية، وفي هذا النداء قال لهم : «أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، إن فرنسا تقدم لكم يدها، حاملة إرث إسرائيل، يا ورثة فلسطين الشرعيين، إن الأمة الفرنسية تدعوكم إلى إرثكم، بضمانها وتأييدها، ضد كل الدخلاء» [٨٠] . ولقد استجابت هذه الأقليات اليهودية لنداء الاستعمار، عاضة اليد التي أحسنت إليها، وبدأت الشراكة « الاستعمارية ـ الصهيونية » ، وتخلقت المأساة التي ما زالت أمتنا تعالج فصولها حتى اللحظة التي ندون فيها هذا الكلام، مأساة أخطر التوترات التي تستنزف طاقات الأمة، وتقعدها عن التقدم والنهوض، محققة بذلك استراتيجية الفكر الاستعماري والإرهاب الصهيوني تجاه العرب والمسلمين.

إنه الاستعمار الذي عاش ينكر الآخر، فلما قبلت حضارته ـ بعد خلقها سلطان النصرانية ـ للآخر في بلاده، أصبح إفساده لتعايش فرقاء التنوع والتمايز والاختلاف ـ الديني والقومي ـ في الشرق الإسلامي من أبرز آليات استراتيجيته لاختراق عالم الإسلام. تلك هي حقائق التاريخ القديم منه والحديث والمعاصر،

والتي يتجاهلها المنافقون وغلاة العلمانيين عندما يدَّعون علينا ـ نحن المسلمون ـ أننا الذي تضيق صدورنا بالآخر، ولا نتقبل التعايش مع الآخرين.

وليس بجائز لأحد أن يقول: إن هذه الصفحة من صفحات الثقافة اللاهوتية وممارساتها وتطبيقاتها قد طويت وانقضت، فحقيقة الأمر والواقع أنها لا تزال حية وفاعلة في هذه الثقافة اللاهوتية حتى الآن، ففي مؤتمر «كولورادو» ـ الذي انعقد في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٨م ـ لتنصير كل المسلمين ـ تحدثوا في أبحاثه الأربعين وفي مناقشاتها عن ضرورة اختراق الإسلام، لتنصير المسلمين من خلال الثقافة الإسلامية، وبالاعتماد المتبادل مع الكنائس الوطنية والمحلية في الشرق الإسلامي، والعمالة الفنية المدنية الأجنبية في بلادنا الإسلامية، ومن خلال المرأة، والطلاب المسلمين الدارسين في الغرب، بل وبواسطة صنع الكوارث في المجتمعات الإسلامية، كي يهتز توازن ضحاياها، فيسهل إخراجهم من الإسلام. لقد قالوا، في هذا المؤتمر، عن الإسلام : «إنه هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيًا وسياسيًا، ونحن بحاجة إلى مئات المراكز لفهم الإسلام ولاختراقه في صدق ودهاء»[٨١]، وهكذا رأى المؤتمرون أن شغلهم الشاغل إنكار الحقوق الدينية للإنسان المسلم في الإيمان بنبوة محمد فقالوا : « ولذلك لا يوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولوية من موضوع تنصير المسلمين»[٨٢]، ولذلك: «فعلى مديري إرساليات أمريكا الشمالية والقادة المنصرين الآخرين أن يكتشفوا ويوطدوا أساليب جديدة للتعاون والمشاركة مع كنائس العالم الثالث وعملها المنظم للوصول إلى المسلمين، لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي، إن نصارى البروتستانت ـ في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا ـ منهمكون بصورة عميقة في عملية تنصير المسلمين، ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها، وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين

الذين تسعى إلى تنصيرهم، وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معاً بروح تامة، من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين»[٨٣]، واستراتيجية ذلك العمل يجب أن يكون من خلال كسب المسلمين عن طريق منصرين مقبولين من داخل مجتمعاتهم، ويفضل النصارى العرب في عملية التنصير. إن تنصير هذه البلاد سوف يتم من خلال النصارى المنتمين إلى الكنيسة المحلية، ويتم ذلك بعد تكوين جالية محلية نصرانية قوية. ونتسائل أين حرية العقيدة وحفظ الحقوق الدينية للإنسان؟ من خلال هذا المنظور ومن خلال هذا العداء ومن خلال هذا الفكر.

ولقد رسمت (بروتوكولات قساوسة التنصير) خطة لتوظيف العمالة المدنية الأجنبية في تنصير المسلمين والتي جاء فيها : «لأنه على الرغم من وجود منصرين بروتستانت ـ من أمريكا الشمالية ـ في الخارج أكثر من أي وقت مضى، فإن عدد الأمريكيين الفنيين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق عدد المنصرين بأكثر من ١٠٠ إلى ١، وإن الأفراد الذين يملكون الخبرة الفنية يمكنهم أيضاً أن يعملوا من أجل المسيح، وهذا أمر مهم، وبخاصة في البلاد التي تمنع حكوماتها التنصير العلني، إنهم يستطيعون ـ ويجب ـ أن يتمموا عمل المنصرين وذلك بالعمل معاً جنباً إلى جنب لتنصير العالم الإسلامي»[٨٤]. وبدلاً من مواجهة إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية، يجب على قساوسة التنصير، أن يخوضوا في مواريث وبقايا ثقافات الشعوذات والخرافات والسحرة والشياطين، ويتحدثون عن ذلك أن لدى النساء اللائي يكثرن من الاعتقاد في هذه التأثيرات والمؤثرات، فتنصح «بروتوكولاتهم» بالدخول إلى المرأة المسلمة من هذه «الأبواب» وليس من باب الجدال حول العقائد التي جاء بها الإسلام في قرآنه الكريم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، إن المنادين بحفظ حقوق المرأة الذين ينتهكون حقوقها الدينية والاجتماعية والوجدانية والمالية بهذه الوسائل والطرق ثم يقولون أن الإسلام لايحفظ حقوق النساء وهم الذين يستغلون المرأة وينتهكون حقوقها.

نعم ينحدر إلى هذا المستنقع أولئك الذين ينتسبون إلى حضارة ألهت العقل وأحلت العلم محل الله، فيقولون في هذه (البروتوكولات التنصيرية)، بدلاً من البحث عن صراع مباشر بين الكتاب المقدس والقرآن. دعونا نعلم المرأة المسلمة كيف تعيش في سلام من ضغوط السحر، ونقدم لها بديلاً نصرانياً للتأثير الشيطاني الذي يهاجم النساء، وخاصة في المجتمعات الإسلامية، إن النساء هن المفتاح لزرع الكتاب المقدس في المجتمعات الإسلامية ، أما تخطيط الأسرة ـ تحديد النسل ـ وهو عامل رئيس ومؤثر وله أهمية كبيرة، فمن الأفضل عدم تناوله خلال المراحل المبكرة من العمل التنصيري مع المسلمين»[٨٥]. كذلك، يخططون لانتهاز فرص وجود الشباب المسلم الذين يدرسون في المجتمعات الغربية، بعيداً عن المقومات والإمكانات التي تساعدهم على حماية القيم الإسلامية، وتحت الضغوط المادية وعوامل التحلل والانحلال، فيتحدثون عن ضرورة التوسل بهذه الظروف اللادينية واللاأخلاقية لتحويل هذا الشباب عن إسلامه، وعن هذا التخطيط تقول بروتوكولات مؤتمر كولورادو : «يتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب، ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية ويعيشون نمطاً من الحياة مختلفاً ـ في ظل الثقافة العلمانية المادية ـ فإن عقيدة الغالبية العظمى منهم تتعرض للتأثير، وإذا كانت تربة المسلمين في بلادهم ـ بالنسبة إلى التنصير ـ أرضاً صلبة ووعرة، أفليس بالإمكان إيجاد مزارع خصبة بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم؟ حيث يتم الزرع والسقي والتهيئة لعمل فعال عندما يعاد زرعهم ثانية في بلادهم كمنصرين؟»[٨٦].

بل إن هذه (البروتوكولات) المعلنة الموضوعة في الممارسة والتطبيق لا تكتفي بمحاولات اختراق الإسلام من خلال مصطلحات القرآن وأنماط الثقافة الإسلامية «في مكر ودهاء»، ولا تقنع بالعمل على اختراق عالم الإسلام من خلال الكنائس المحلية والعمالة المدنية الأجنبية والمرأة والشباب المبتعثين للدراسة في البلاد الغربية،

وإنما يذهب أصحابها على الدرب اللاأخلاقي وهم يرتدون مسوح الدين واللاهوت؟! نعم لقد بلغوا على الدرب اللاأخلاقي إلى الحد الذي قالوا فيه : «لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلابد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس ـ أفراداً وجماعات ـ خارج حالة التوازن التي اعتادوها! وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعي المتدني، وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية!، ولذلك، فإن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمراً مهما في عملية التنصير، وإن إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري، فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى»[٨٧]، هكذا عملت وتعمل النصرانية على تنصير كل المسلمين وحلمت وتحلم بطي صفحة الإسلام من الوجود، أي نفي الآخر الإسلامي والحلول محله في سائر أنحاء عالم الإسلام، أهكذا تحفظ حقوق الإنسان؟

وإذا كانوا قد اشغلوا العالم بأهمية «الحوار مع المسلمين» فإنهم يعترفون فيما نشروه من أبحاث ومناقشات مؤتمر كولورادو وغيره بأن هذا «الحوار» هو سبيل وآلية ومقدمة من المقدمات المهيئة للتنصير، أي أن «الحوار» ـ الذي يريدون ـ ليس سبيلاً «للتعايش» بين فرقاء متمايزين ومتعددين، وإنما هو آلية من آليات نفي الآخر ووراثة الآخرين، يعترفون بذلك، فيقولون : «إن بيانات مجلس الكنائس العالمي ليس بديلاً عن تحويل غير النصارى إلى النصرانية، وهذه البيانات عن حرية الإقناع والاقتناع لا تعني تخلي المجلس عن مواقفه المناصرة «للجهود القسرية والواعية والمتعددة والتكتيكية لجذب الناس من مجتمع ديني ما إلى آخر[٨٨]».

ولا يحسبن أحد أن الكاثوليكية الغربية بعيدة عن هذا الموقف الذي ينكر الآخر الإسلامي، ويعمل على إلغائه وطي صفحته من الوجود، فالكاثوليكية الغربية

صاحبة الثقل المؤثر في مجلس الكنائس العالمي، الذي أشرنا إلى موقفه المنحاز إلى توظيف الحوار في سبيل إجبار الآخر على الزوال، وهي صاحبة المواقف العملية والعلنية في تنصير المسلمين، على امتداد بلاد عالم الإسلام، حتى لقد تركت بيتها ـ أوربا ـ فريسة للمادية والإلحاد واللادينية، وأعلنت عزمها على تنصير المسلمين، فرفعت شعار أفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م، فلما خيَّب الله آمالها، زحزحت التاريخ إلى سنة ٢٠٢٥م، وذلك بدلاً من أن تنصر بيتها الغربي .

وإليك قول جوزيبي برناردیني الذي يصرح ـ بحضرة بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني ـ في سنة ١٩٩٩م ـ فيقول : « إن العالم الإسلامي سبق أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط ، وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين في الدول المسيحية، بما في ذلك روما عاصمة المسيحية، فكيف يمكننا ألا نرى في ذلك برنامجاً واضحاً للتوسع، وفتحاً جديداً»[٨٩]، وفي نفس التاريخ يتحدث الكاردينال بول بوبار ـ مساعد بابا الفاتيكان ومسؤول المجلس الفاتيكاني للثقافة ـ إلى صحيفة «الفيجارو» ـ الفرنسية ـ فيقول : «إن الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لأوربا وللغرب عموماً، وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيراً ضليعاً لكي يلاحظ تفاوتاً متزايداً بين معدلات النمو السكاني في أنحاء معينة من العالم، ففي البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكاني بشكل تدريجي، بينما يحدث العكس في البلدان الإسلامية النامية، وفي مهد المسيح يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمجاً بشكل ما؟، إن التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن في أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتصرف وراعي لحقوق الإنسان أياً كان لونه أو دينه أو عنصره أو لسانه، في حين أن المسيحيين في أوربا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع، وتناسوا الصيام الذي يفرضه عليهم دينهم، وفي الوقت نفسه ينبهرون بصيام المسلمين في شهر رمضان»[٩٠].

وصورة أوربا والغرب والعالم بنظر الكاردينال جاكومو بيفي أسقف مدينة بولونيا بإيطاليا لا يمكن أن تكون متعددة الديانات، وذلك حين دعا في رسالته يوم ٢٠٠٠/٩/١٣م ـ إلى استئصال المسلمين من أوربا فقال: «فإما أن تتحول أوروبا إلى مسيحية فوراً، وإلا ستكون إسلامية مؤكدة»[٩١]. إنهم لا يطيقون وجود الآخر ـ والآخر الإسلامي خاصة ـ سواء على مستوى « الدين » ، أو « الثقافة» ، أو الرموز العبادية مثل المساجد، أو حتى المراكز الثقافية، بل ولا على المستوى الجسدي ـ النمو السكاني ـ !!

أما النصرانية الأرثوذكسية ـ الغربية ـ فلقد اختصرت الطريق إلى نفي الآخر الإسلامي، بالمقابر الجماعية، وحروب الإبادة، التي شنتها ولا تزال تشنها ضد الإسلام والمسلمين في البلقان ـ البوسنة والهرسك وكوسوفا ـ وفي القوقاز وخاصة بلاد الشيشان ـ وهي تجوب العالم عاقدة التحالفات مع وجميع محاور الشر اليهودية وغيرها ضد الإسلام والمسلمين تحت دعاوى أنها الأصولية الإسلامية وأنها الخطر الأعظم والأول الذي يهدد العالم الذي يريدونه بلا آخر ولا شريك.

لقد صنعت النصرانية الغربية ذلك، ولا تزال تصنعه مع الإسلام الذي جعل التعددية الدينية وحرية الاعتقاد سنة من سنن الله، التي لا تبديل لها ولا تحويل، فقال للمشركين عبدة الأوثان قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٩٢]، وقال لغيرهم قوله جل شأنه: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٩٣]. وينطلق إنكار حقوق الأنبياء والرسل عند بعض الشعوب من أصل الاعتقاد بعدم صحة ما جاؤوا به وخصوصاً النبي محمد ﷺ، ولكن العقلاء من غير المسلمين لا يملكون إلا الاعتراف بالحق فيقولون إنه: «إنطلاقاً من وجوب قول الحقيقة، أرى لزاماً عليَّ أن أعلن أننا نحن المسيحيين بصورة عامة نجهل الإسلام كل الجهل ديناً وحضارة»[٩٤]، فليس كالإسلام دين يكرم الأنبياء والرسل الذين سبقوا النبي العربي ﷺ وهو يفرض على المؤمنين به إكرام هؤلاء والإيمان بهم ، وليس كالإسلام دين يحترم الأديان الأخرى .

أليست كل هذه الأفكار التنصيرية خدمة للقوة السياسية، وهي نوع من الإرهاب الفكري والديني والاجتماعي والاقتصادي بل والإنساني وانتهاك لحقوق الإنسان؟ أليس من واجب كل الحكومات والشعوب المحترمة وكل العقلاء والنبلاء أن يسعوا لمحاربة جميع أشكال الإرهاب وقبول الآخرين بالتعارف والتعاون والحوار فيستفيد الغرب من قوة اقتصاد المسلمين وقدراتهم البشرية ومجمل تراثهم الحضاري والفكري في الحياة، ويستفيد المسلمون من التقدم التكنولوجي في الغرب ويعيش الجميع في الأمن والسلام ورعاية حقوق الإنسان من خلال التنوع والتعدد والخصوصية والعالمية؟، يقول الكاتب الهولندي المعاصر م.ف واجنر **M. F. Wagner** : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾، لقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً في نفسي لأن فيها دليلاً على ذلك الطابع العالمي الذي يتميز به الإسلام، فضلاً عما يمتاز به من النظم والتشريعات الأخرى ، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام. فهل هناك أقوى وأصدق من تلك التعاليم المتحررة التي توصينا باحترام كما ما جاء به جميع الرسل والأنبياء ؟ لا شك أن الدين الإسلامي هو دين الحق والصدق والبرهان»[٩٥]. ولا أدل على كلام واجنر من أن الإسلام دين الحق والحقوق ودين الصدق والبرهان ما قاله المفكر الفرنسي إتين دينيه **Et. Dinet** « ليس من فخار المسيحية أن تضم في تعدادها أولئك الذين يباعون لها من ولدان العبيد ولا أولئك اليتامى الذين ينشأون في مهادهم نشأة دينية مسيحية أما الذين يعتنقون الإسلام في وقتنا هذا من المسيحيين وغيرهم فإنما هم الخاصة سواء كانوا من الهيئات الاجتماعية الأوروبية أو الأمريكية ، كما أن إخلاصهم في ذلك لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية» [٩٦].

إذاً فأين حفظ حقوق الأنبياء والرسل؟ وأين حفظ حقوق الناس في حرية اتباع الأديان المخالفة؟ وأين حقوق الجميع الدينية في إطار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وبقية الصكوك الدولية إذا كان هذا فعل اليهود والنصارى مع المسلمين؟.

لقد اهتم الإسلام بحقوق الأنبياء والرسل كما أوضحنا فيما تقدم وذلك هو الحق المبين، وقد ورد ذكر حقوق الأنبياء والرسل في ديباجة إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام وفيه : «وإيماناً بأن الحقوق الأساسية والحريات العامة في الإسلام جزء من دين المسلمين لا يملك أحد تعطيلها كلياً أو جزئياً أو خرقها أو تجاهلها فهي أحكام إلهية تكليفية أنزل بها كتبه وبعث بها خاتم رسله وتمم بها ما جاءت بها الرسالات السماوية وأصبحت رعايتها عبادة، وإهمالها أو العدوان عليها منكراً في الدين وكل إنسان مسؤول عنها بمفرده والأمة مسؤولة عنها بالتضامن»[٩٧]، هذا ما صدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي مما يمكن الإفادة منه وإضافته إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مما نقص ذكره، أو بمثله ونحوه من حقوق الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام واتباعهم ومالهم من حقوق وما عليهم من واجبات، ولا أظن عاقلاً من غير المسلمين المهتمين بقضايا حقوق الإنسان في هيئة الأمم المتحدة أو خارجها يرفض هذا الأمر تحقيقاً لمبادىء إنسانية كثيرة منها حرية الدين والعقيدة ، وتعدد الثقافات وخصوصيات الحضارات مستلهمًا لمشاركات الأمة الإسلامية في صياغة الإعلان الحقوقي الإنساني بشمولية وعمق يتناسب مع حقيقة الإنسان وحقوقه بما يحافظ الخصوصية ويحقق العالمية ضمن أفراد وشعوب وأمم ودول الأسرة الدولية.